٢٤ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

فلو لاحظ شخص أن (ا) أطول من (ب) بمقدار رأس، وأن ب أصغر من ا بمقدار رأس؛ فسترفض أن تسلم له بهذا، وستزعم بقوة أنك لا تعني إلا أن الأكبر أكبر بالكبر، وبسببه، وأن الأصغر ليس أصغر إلا بالصغر، وبسببه، وهكذا تجنب نفسك خطر القول بأن الأكبر أكبر، وأن الأصغر أصغر، بمقياس الرأس، الذي هو هو في كلتا الحالين، وستجنب نفسك كذلك ما في افتراض أن الرجل الأكبر أكبر بسبب الرأس الذي هو صغير، من سخف فظيع. ألم تكن لتخشى ذلك؟

فقال سيبيس ضاحكا: كنت لأخشاه حقاً

وكنت تخشى، بنفس الطريقة، أن تقول إن عشرة تزيد على ثمانية باثنين، وبسببها، ولكنك كنت تقول إنها تزيد عليها بالعدد، وبسببه، أو أن ذراعين يزيدان على ذراع واحد بنصف بل هما يزيدان عليه بالكبر ـ ذلك ما كنت تقوله لأن الخطر بذاته موجود في كلتا الحالين

قال: جد صحيح

ـ ثم ألم تكن لتحذر من التأكيد بأن إضافة واحد إلى واحد، أو قسمة واحد، هي سبب اثنين، وكنت لتقسم أمام الملأ بأنك لا تدري طريقة يجيء بها أي شيء إلى الوجود، إلا مشاطرته لجوهره الأصلي، فينتج أن سبب الاثنين الأوحد هو ـ في حدود ما تعلمه أنت ـ مشاطرة الأثنينية، فهذه المشاطرة هي طريقة عمل اثنين كما أن مشاطرة الواحد هي طريقة عمل الواحد؛ وكنت ستقول إني مُطّرح ألغاز القسمة والاضافة جانباً ـ فقد تجيب عنها رؤوس أبلغ من رأسي حكمة، ومادمتُ كما أنا عديم الخبرة، أفزع من ظلي كما يذهب المثل، فلستُ أقوى على أن أتناول بالهدم مبدأ ذا أساس مكين. فان هاجمك في ذلك مهاجم، لم تحفل به، أو أجبته حتى ترى إن كانت النتائج الناجمة متفقاً بعضها مع بعض أولا، فان طلب اليك بعد ذلك أن تتناول هذا المبدأ بالشرح، مضيت تزعم مبدأ أسمى، فأسمى المبادىء السامية، حتى تجد لنفسك مكناً، ولكنك لم تكن لتخلط في تدليلك بين المبدأ والنتائج، كما فعل الأرستيون The Eristics على الأقل إذا أردت أن تستكشف الوجود الحقيق. لا لأن هذا الخلط كان سيتبين لهؤلاء الذين لا يعنيهم الأمر اطلاقاً ولا يفكرون فيه، فلديهم من الذكاء ما يكفي أن يجعلهم يغتبطون بأنفسهم غبطة عظيمة، مهما يكن ما تحويه أفكارهم من عناء كبير، ولكني أعتقد أنك فاعل كما أقول إن كنت فيلسوفاً

فقال سمياس وسيبيس في صوت واحد: إن ما تقوله لحق بالغ

اشكراتس ـ نعم يافيدون، وليس يدهشني منهما هذا التسليم، فكل انسان له من الفكر أدنى حدوده ليقر بما في تدليل سقراط من وضوح عجيب

فيدون ـ يقيناً يا اشكراتس، وقد كان ذلك عندئذ إحساس الرفاق جميعاً

اشكراتس ـ بلى، وهو إحساسنا أيضاً، نحن الذين نصغي الآن لروايتك ولم نكن من الرفاق، ولكن ما الذي أعقب هذا؟

فيدون ـ بعد أن سلموا بهذا كله، ووافقوا على وجود المثل، وعلى مساهمة سائر الأشياء فيها، تلك الأشياء التي اشتقت أسماؤها من تلك المثل، قال سقراط ما يأتي، إن كنت مصيباً فيما أتذكر:

تلك هي طريقتك في الحديث، ومع ذلك فحين تقول إن سمياس أكبر من سقراط وأصغر من فيدون، ألست بذلك تضيف إلى سمياس الكبر والصِّغر معاً؟

ـ نعم إني أفعل ذلك

ـ ولكنك على رغم هذا تسلم بأن سمياس لا يزيد في الحقيقة عن سقراط بسبب أنه سمياس، كما قد يدل عليه ظاهر العبارة، ولكنه يزيد عليه بسبب ماله من حجم. فليس يزيد سمياس على سقراط لأنه سمياس أكثر مما يزيد عليه لأن سقراط هو سقراط، إنما سبب الزيادة أن فيه صغراً حينما يقرن إلى كبر سمياس؟

ـ حقاً

ـ وإذا كان فيدون يربى عليه حجما، فليس ذلك لأن فيدون هو فيدون، بل سببه أن في فيدون كبراً بالنسبة إلى سمياس الذي هو أصغر بالمقارنة؟

ـ هذا حق

ـ وإن فسمياس يقال عنه إنه كبير كما يقال عنه إنه صغير لأنه فى موقف وسط بينهما ، فهو يزيد بكبره على صغر أحدهما ، وهو يسمح لكبر الآخر أن يزيد على صغره . ثم أضاف ضاحكاً : ما أشبهني فيما أقول بكتاب ، ولكنى أعتقد أن ما أقوله حق فوافق سمياس على هذا

ـ والسبب فى هذا القول مني هو رغبتى فى أن تروا معى أنه ليس الكبر المطلق وحده هو الذى يستحيل عليه أن يكون كبيراً وصغيراً فى آن معاً ، بل إن ما فينا من كبر ، وكذلك مافى المحسات ، لن يقبل كذلك الصغير بتاتاً ، ولن يرضى أن يربى عليه ، وسيحدث بدلا من هذا أحد شيئين — إما أن الأكبر سيزول أو يتراجع أمام ضده ، وهو الأصغر ، أو أنه سيتلاشى بازدياد الأصغر ، ولكنه لو قبل أو سلم بالصغر فلن يغير ذلك منه ، كما أنى لا أزال كما كنت تماماً الشخص الصغير بذاته مع كونى قد تلقيت الصغير وقبلته حينما قرنت إلى سمياس . فكما أنه يستحيل قطعاً على مثال الكبير أن يتنازل ليكون أو ليصير صغيراً ، كما يستحيل على أى ضد آخر ظل كما هو ، أن يكون أو يصير ضد نفسه أبداً ، فهو إما أن يزول أو يمحى أثناء التغير

أجاب سيبيس : هذا عين ما ارتأيه

فلما أن سمع ذلك أحد الرفاق ، ولست أذكر على التحقيق من هو ، قال : بحق السماء ، أليس هذا هو النقيض تماماً لما سبق التسليم به ـ ذلك أن من الأكبر جاء الأصغر ، ومن الأصغر جاء الأكبر ، وإن الأضداد إنما تولدت من أضداد ، فأحسبكم الآن منكرين هذا إنكاراً قاطعاً

فمال سقراط نحو المتكلم برأسه منصتاً ، ثم قال : تعجبني جرأتك فى تذكيرنا بهذا ، ولكنك لم تلاحظ أن هنالك اختلافا بين الحالتين ، فقد كنا نتحدث فيما سلف عن الأضداد فى المحسوسات ، أما الآن فحديثنا عن الضد فى الجوهر الذى يستحيل عليه ـ كما هو مقطوع به ـ أن يكون على خلاف مع نفسه سواء أكان هذا الضد فينا أو فى الطبيعة . إذن فقد كنا بالصدق نتحدث عن الأشياء التى تكون الأضداد فطرية فيها ، والتى سميت تبعاً لها ، أما الآن فنحن إنما نتكلم عن الأضداد التى تكون فطرية فيها (فى الأشياء) والتى تخلع اسمها عليها ، فلن تقبل قط هذه الأضداد الجوهرية ، فيما نعتقد ، التوليد أو الخروج بعضها من بعض . وهنا التفت إلى سيبيس وقال : هل أدخل اعتراض صاحبنا شيئاً من الحيرة فى نفسك ياسيبيس ؟

فأجاب سيبيس : لم أشعر بذلك ، ولكنى لا أنكر أنى أوشك أن أحس الارتباك

فقال سقراط : إذن فنحن بعد هذا كله متفقون على أن الضد لن يكون مضاداً لنفسه بأية حال ؟

فأجاب : إننا فى هذا على اتفاق تام

ـ ولكن اسمح لى أن أطلب إليك مرة ثانية أن تنظر إلى المسألة من وجهة أخرى ، لترى إن كنت متفقاً معى : أهنالك شىء تسميه بالحرارة وشىء آخر تطلق عليه اسم البرودة ؟

ـ يقيناً

ـ ولكن أهما النار والثلج ذاتهما ؟

ـ كلا ، بغير شك

ـ ليست الحرارة هى النار ، ولا البرودة هى الثلج ؟

ـ لا

ـ ولكنك لن تتردد فى التسليم بأنه إذ يكون الثلج تحت تأثير الحرارة ، كما سبق القول ، فلن يلبثا ثلجاً وحرارة ، بل كلما ازدادت الحرارة ، تراجع الثلج أو أدركه الفناء ؟

أجاب : جد صحيح

(يتبع)

زكى نجيب محمود

وزارة المعارف العمومية

تقبل العطاءات بمكتب حضرة صاحب العزة سكرتير عام وزارة المعارف بشارع الفلكى بالقاهرة لغاية الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٧ يولية سنة ١٩٣٥ عن توريد أدوات الأشغال اليدوية اللازمة للمدارس فى السنة الدراسية ١٩٣٥ — ١٩٣٦ مثل ورق مقوى برستول ، وورق مجزع للتجليد ، وخشب حور ، وقطع صغيرة من خشب الجوز الأمريكانى ، وسفنج ، وسيكوتين وغيرها

ويمكن الحصول على شروط المناقصة نظير ١٠٠ مليم النسخة من مخازن المعارف بشارع درب الجماميز بالقاهرة